التنمر المدرسي وأثره على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ ودور الاخصائي الاجتماعي في مواجهتها

المقدمة

يُعد التنمر المدرسي من الظواهر السلبية الخطيرة التي باتت تهدد كيان المنظومة التربوية وتحدّ من قدرتها على تحقيق أهدافها المنشودة، إذ أصبح سلوكًا شائعًا بين الطلبة في مختلف المراحل الدراسية، متخذًا صورًا متعددة من العنف اللفظي أو الجسدي أو النفسي. ويُنظر إلى التنمر بوصفه شكلاً من أشكال التفاعل العدواني غير المتوازن بين طرفين؛ أحدهما متنمر يمارس السيطرة والهيمنة، والآخر ضحية يتعرض للإيذاء المتكرر، وهو سلوك يعكس ثقافة اجتماعية مشوهة تسود بين الأقران في البيئة المدرسية.

وقد أشارت العديد من الدراسات التربوية والنفسية إلى أن التنمر يرتبط بجملة من العوامل الشخصية والاجتماعية، منها سمات الشخصية كالعصبية والكذب والانبساط المفرط، والعلاقات الأسرية غير السوية مثل ضعف التماسك الأسري والصراعات داخل الأسرة وغياب حرية التعبير عن المشاعر. كما ترتبط هذه الظاهرة بعدد من المتغيرات النفسية لدى المتعلمين مثل القلق، وتدني مفهوم الذات، وضعف الأمن النفسي، والانسحاب الاجتماعي، والوحدة، واضطرابات المزاج، وقصور المهارات الاجتماعية.(الصاوي، 2020، ص7)

ومن جانب آخر يُعد التوافق النفسي والاجتماعي أحد أهم المحددات التي تضمن سير العملية التعليمية بصورة سليمة، إذ يعكس قدرة المتعلم على المواءمة بين دوافعه وطموحاته من جهة، ومتطلبات البيئة الاجتماعية من جهة أخرى، بما يحقق له اتزانًا انفعاليًا وتواصلاً إيجابيًا فعالًا مع زملائه ومعلميه، فالمتعلم الذي يتمتع بتوافق نفسي واجتماعي مرتفع يكون أكثر قدرة على التكيف مع المواقف التربوية، وأكثر ميلاً للتعاون والانخراط في الأنشطة الاجتماعية، في حين أن ضعف هذا التوافق يؤدي إلى الانطواء والعزلة والسلوك العدواني، ومن أبرز مظاهره في المدرسة سلوك التنمر.(مغرقوني، 2024، ص3)

وانطلاقًا من ذلك، يتضح أن مشكلة التنمر المدرسي لا تقتصر على كونها سلوكًا منحرفًا فحسب، بل تمثل تحديًا تربويًا ونفسيًا يتطلب تضافر الجهود التربوية والمجتمعية، وعلى رأسها دور الأخصائي الاجتماعي الذي يُعد عنصرًا محوريًا في اكتشاف حالات التنمر، وتشخيص أسبابها، وتقديم الإرشاد والدعم النفسي والاجتماعي للطلبة، بما يسهم في بناء بيئة مدرسية آمنة تسودها قيم التسامح والتعاون والاحترام المتبادل.

مشكلة البحث

يُعد التنمر المدرسي من الظواهر الاجتماعية السلبية التي تشكل خطرًا متزايدًا على البيئة التعليمية لما تسببه من اضطرابات نفسية وسلوكية بين التلاميذ، وتؤثر سلبًا في توافقهم النفسي والاجتماعي، وفي قدرتهم على التفاعل الإيجابي داخل المدرسة. وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة، إلا أن الدور الوقائي والعلاجي الذي يقوم به الأخصائي الاجتماعي في الحد منها لا يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل، خصوصًا في ضوء تزايد معدلات العنف المدرسي وتنوع أشكاله؛ ومن هنا تتحدد مشكلة البحث في دراسة أثر التنمر المدرسي على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ، ودور الأخصائي الاجتماعي في معالجة هذه الظاهرة والحد من آثارها السلبية داخل البيئة المدرسية. **ويمكننا صياغة مشكلة البحث في عدة تساؤلات وهي:**

1. ما مظاهر وأشكال التنمر المدرسي المنتشرة بين التلاميذ؟
2. ما العوامل النفسية والاجتماعية التي تسهم في ظهور سلوك التنمر؟
3. كيف يؤثر التنمر المدرسي على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ؟

4. ما هو دور الأخصائي الاجتماعي في معالجة ظاهرة التنمر الدراسي والحد من آثارها السلبية داخل البيئة المدرسية؟

أهمية البحث:

1. يسهم البحث في الكشف عن العوامل المؤثرة في انتشار سلوك التنمر المدرسي، مما يساعد في تطوير استراتيجيات تربوية للحد منه.
2. يوضح البحث العلاقة بين التنمر ومستوى التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ، مما يوجه الاهتمام نحو تعزيز الصحة النفسية داخل المدارس.
3. يبرز البحث الدور المهني للأخصائي الاجتماعي في الوقاية من التنمر ومعالجته، ويقترح برامج تدخل مناسبة يمكن تطبيقها في البيئة المدرسية.
4. يُمثل البحث إثراءً معرفيًا للأدبيات العلمية في مجالي علم النفس والخدمة الاجتماعية، من خلال تناول ظاهرة التنمر المدرسي وأثرها على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ في إطار نظري تحليلي.

أهداف البحث:

1. التعرف على مظاهر وأشكال التنمر المدرسي المنتشرة بين التلاميذ.
2. الكشف عن العوامل النفسية والاجتماعية التي تسهم في ظهور سلوك التنمر.
3. الكشف عن أثر التنمر المدرسي على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ.
4. التعرف دور الأخصائي الاجتماعي في معالجة ظاهرة التنمر الدراسي والحد من آثارها السلبية داخل البيئة المدرسية.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي وهو المناسب لموضوع البحث، من خلال جمع وتحليل ما ورد في الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة بظاهرة التنمر المدرسي، وأثرها على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ، ودور الأخصائي الاجتماعي في معالجتها.

الدراسات السابقة

1) دراسة (علي، 2024) بعنوان/ دور الأخصائي الاجتماعي في معالجة مشكلات التنمر دراسة وصفية ميدانية على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس التعليم الأساسي العام بمدينة البيضاء

هدفت دراسة أُجريت بمدينة البيضاء إلى التعرف على دور الأخصائي الاجتماعي المدرسي في معالجة مشكلات التنمر بين التلاميذ، و استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدت على استبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات من عينة مكونة من (407) أخصائيين اجتماعيين بمدارس التعليم الأساسي في مدينة البيضاء. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن عمر الأخصائي الاجتماعي كان له تأثير معنوي في علاقته بخصائص العينة المختلفة، كما تبين أن المؤهل العلمي يؤثر معنويًا في كل من التخصص والعمر وعدد الدورات التدريبية، بينما لم يظهر تأثير معنوي لسنوات الخبرة. وأكدت الدراسة أن الأخصائيين الاجتماعيين يقومون بدور فعّال في معالجة مشكلات التنمر الناتجة عن قصور التنشئة الاجتماعية؛ وأوصت الدراسة بضرورة تطوير مهارات الأخصائيين الاجتماعيين من خلال الدورات التدريبية المستمرة، وتفعيل التعاون بين المدرسة والأسرة والمجتمع المحلي للحد من التنمر، مع تعزيز مكانة ودور الأخصائي الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية بوصفه عنصرًا أساسيًا في الوقاية من المشكلات السلوكية والنفسية ومعالجتها.

2) دراسة (المحجان، 2021) بعنوان / أسباب التنمر المدرسي من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين في مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت

هدفت إلى تحليل بعض أسباب مشكلة التنمر المدرسي والعوامل المحفزة لها، مع ربطها بالتفسيرات التي تقدمها بعض النظريات التربوية مثل النظرية السلوكية ونظرية الذات. استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدت على استبانة من إعدادها لجمع البيانات من عينة مكونة من (52) أخصائيًا اجتماعيًا يعملون في عدد من مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت؛ وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن أسباب ظاهرة التنمر بين تلاميذ المرحلة الابتدائية متنوعة، ومن أبرزها إهمال الوالدين، وسوء أساليب التنشئة الأسرية، وتأثير البيئة الاجتماعية المحيطة بالطفل المتنمر. كما أشارت النتائج إلى إمكانية تفسير سلوك التنمر في ضوء النظرية السلوكية التي تفسر السلوك من خلال التعزيز والتقليد، وكذلك نظرية الذات التي تربط التنمر بانخفاض تقدير الذات والشعور بالنقص، وأوصت الدراسة بضرورة تعزيز دور الأخصائي الاجتماعي في التدخل الوقائي والعلاجي، وتكثيف البرامج التربوية والإرشادية التي تستهدف توعية الطلبة وأولياء الأمور والمعلمين بخطورة التنمر، مع التأكيد على أهمية البيئة الأسرية الداعمة والتفاعل الإيجابي بين الأسرة والمدرسة للحد من انتشار هذه الظاهرة.

3) دراسة (Estévez et al., 2019) بعنوان/ العنوان: التوافق النفسي لدى المتنمرين وضحايا العنف المدرسي(Psychological Adjustment in Bullies and Victims of School Violence)

هدفت هذه الدراسة إلى فحص مستوى التوافق النفسي والاجتماعي لدى أربع فئات من الطلبة في المدارس الثانوية، وهم: الضحايا، والمتنمرون، والضحايا–المتنمرون، واعتمدت الدراسة على المنهج التجريبي،

واستخدمت الدراسة مجموعة من المؤشرات لقياس التوافق النفسي والاجتماعي، شملت مستوى تقدير الذات، والأعراض الاكتئابية، والإجهاد المدرك، والشعور بالوحدة، ودرجة الرضا العام عن الحياة. تكونت عينة الدراسة من 1319 طالبًا وطالبة تتراوح أعمارهم بين 11 و16 عامًا (47% من الذكور) من سبع مدارس ثانوية حكومية في مدينة فالنسيا بإسبانيا. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات الأربع، حيث تمتع الطلبة غير المنخرطين في سلوكيات التنمر بأفضل توافق نفسي واجتماعي، إذ سجلوا مستويات أعلى في تقدير الذات والرضا عن الحياة، ومستويات أقل في الاكتئاب والإجهاد والشعور بالوحدة. أما المتنمرون فقد أظهروا مستويات مرتفعة من التوتر وانخفاضًا في الرضا عن الحياة، في حين سجل الضحايا أعلى معدلات للشعور بالوحدة. كما تبين أن فئة "الضحايا–المتنمرين" تشترك في خصائص كلتا الفئتين لكنها أقرب في نمطها النفسي إلى الضحايا، إذ أظهرت أضعف مؤشرات التوافق النفسي والاجتماعي، وأوصت الدراسة بضرورة تصميم برامج نفسية وتربوية متخصصة تستهدف تحسين الصحة النفسية للضحايا والمتنمرين على حد سواء، من خلال تعزيز مهارات التكيف الاجتماعي، وتطوير استراتيجيات فعالة للحد من ظاهرة التنمر داخل البيئة المدرسية.

الاطار النظري

المحور الأول/ التنمر المدرسي

أولاً/ مفهوم التنمر المدرسي

يُعد التنمر المدرسي من الظواهر السلوكية السلبية التي تشكّل تهديدًا مباشرًا للتفاعل الاجتماعي السليم داخل البيئة التعليمية، إذ يتضمن أشكالًا متعددة من الإيذاء الجسدي أو النفسي أو الاجتماعي، عرّف أولويس (Olweus, 1993)التنمر بأنه شكل من أشكال العدوان يحدث عندما يتعرض طفل أو فرد ما بشكل متكرر

لسلوك سلبي يسبب له الألم، وقد يستخدم المتنمر أساليب مباشرة كالعدوان اللفظي أو البدني، أو أساليب غير مباشرة مثل نشر الشائعات والإقصاء الاجتماعي، مشيرًا إلى أن التنمر غير المباشر قد يكون ضارًا بقدر التنمر المباشر.(شعبان، 2023، ص 5)

كما يُعرف التنمر بأنه سلوك سلبي مقصود يتصف بالديمومة والاستمرار من جانب المتنمر لإلحاق الأذى بفرد آخر (الضحية)، سواء كان هذا الأذى لفظيًا أو جسميًا أو نفسيًا أو اجتماعيًا، ويهدف إلى مضايقته أو عزله عن الجماعة واستبعاده من الأنشطة الاجتماعية، مع وجود اختلال في ميزان القوة بين المتنمر والضحية (الدسوقي، 2016، ص 241).

كما أن التنمر هو سلوك متعمد ومتكرر ضد طالب أو أكثر يتضمن الإيذاء الجسدي أو اللفظي أو الجنسي أو الإقصاء الاجتماعي (البطشاية وآخرون، 2024، ص 73)، حيث أن التنمر المدرسي يتمثل في تعرض الطالب داخل المحيط المدرسي بشكل متكرر ومع مرور الوقت لسلوكيات سلبية مقصودة وغير مرغوب بها، تصدر عن طالب آخر أو مجموعة من الطلاب، في ظل غياب التكافؤ في القوة لصالح الجناة (المتنمرين) (Tabet et al., 2019, p. 115).

ثانياً/ أسباب ظهور سلوك التنمر المدرسي

تتعدد الأسباب والعوامل التي تفسر انتشار ظاهرة التنمر المدرسي، ويمكن تصنيفها إلى عوامل أسرية وعوامل مدرسية وأخرى اجتماعية وغيرها مرتبطة بجماعات الاقران رئيسة:

- **العوامل الأسرية:** تُعتبر البيئة الأسرية أحد أهم المؤثرات في تشكيل شخصية الفرد واتجاهاته وسلوكياته، حيث تلعب دورًا أساسيًا في تحديد مدى تقبله للآخرين وطريقة تعامله معهم. كما أن الاطفال الذين

يعيشون في أسر يسودها العنف والصراع أو يتعرضون لسوء المعاملة داخل المنزل يكونون أكثر عرضة لأن يصبحوا متنمرين أو ضحايا للتنمر، إذ إن كثيرًا من ضحايا التنمر المدرسي يعانون أصلًا من تجارب سلبية داخل أسرهم. كما تساهم أساليب التربية غير السوية في تفاقم الظاهرة، مثل التذبذب في اتخاذ القرارات، وعدم الاتفاق بين الوالدين على أسلوب موحد في الثواب والعقاب، الأمر الذي يؤدي إلى نشوء سلوكيات عدوانية لدى الأبناء تظهر في المدرسة في صورة تنمر.(غنية، 2022، ص 630)

- **العوامل المدرسية:** تُعد البيئة المدرسية عاملًا حاسمًا في انتشار التنمر أو الحد منه. حيث يلاحظ أن ضعف الرقابة من قِبل الإدارات والمعلمين والمشرفين، خصوصًا في المدارس ذات الكثافة الطلابية العالية، يسهم في تفشي الظاهرة. كما أن غياب الإجراءات الحازمة لمواجهة السلوكيات العدوانية يُشجع بعض الطلبة على ممارسة التنمر لشعورهم بانخفاض احتمالية العقاب أو المساءلة. لذلك، يُعد وجود نظام تأديبي واضح وتفعيل دور الإرشاد الطلابي من العوامل الضرورية للحد من هذه الظاهرة.(علي، 2024، ص 62)
- **العوامل الاجتماعية:** يُعد سلوك التنمر ظاهرة اجتماعية في جوهرها، إذ يحدث غالبًا في إطار تفاعلات جماعية بين الأقران داخل البيئة المدرسية. لذلك، فإن فهم التنمر يستلزم دراسة الإطار الاجتماعي للطلبة الذين يمارسونه، نظرًا لتأثرهم بدرجة كبيرة بعلاقاتهم الاجتماعية داخل المجموعة. فالطلبة الذين يعانون من ضعف في المهارات الاجتماعية يجدون صعوبة في التعامل مع الآخرين بطريقة سليمة، كما يواجهون مشكلات في تفسير نوايا زملائهم بصورة واقعية، مما يدفع بعضهم إلى تبني أساليب عدوانية لحل الخلافات. كما أن محدودية قدرتهم على تكوين علاقات إيجابية والاندماج الاجتماعي تجعلهم أكثر ميلاً لاستخدام القوة أو السيطرة كوسيلة لإثبات الذات بين أقرانهم.(عبد الرحيم، 2020، ص32)

- **العوامل المرتبطة بجماعة الأقران:** تلعب جماعة الأقران دورًا محوريًا في تعزيز سلوك التنمر أو الحد منه، حيث إن التفاعل المستمر مع أقران يمارسون هذا السلوك قد يشجع الطالب على تقليده واكتسابه. فالمتنمرون غالبًا ما يتأثرون بمجموعات الأصدقاء الذين يُظهرون سلوكًا عدوانيًا، مما يسهم في تطبيع هذا السلوك وجعله مقبولًا ضمن الجماعة. كما أن بعض المراهقين يسعون إلى الانتماء لمجموعات توفر لهم شعورًا بالقوة أو المكانة الاجتماعية، فيمارسون التنمر كوسيلة للحصول على الاعتراف أو القبول الاجتماعي داخل المجموعة.(المحجان، 2021، ص9)

ثالثاً/ أشكال التنمر المدرسي

يُعدّ التنمر المدرسي من السلوكيات العدوانية المنتشرة بين الطلبة، وتظهر له عدة أشكال تختلف في الوسائل المستخدمة وشدة الأذى الموجه للآخرين. ويمكن تصنيف أبرز أشكاله على النحو الآتي:

1. **التنمر الجسدي:** وهو من أكثر الأنواع وضوحًا وانتشارًا، ويشمل كل أشكال الاعتداء البدني المباشر مثل الضرب، والصفع، والرفس، والركل، والإيقاع بالآخرين على الأرض، والسحب بعنف، أو إجبار الضحية على القيام بفعلٍ معين باستخدام القوة الجسدية. وغالبًا ما يحدث هذا النوع نتيجة لاختلال ميزان القوة بين المتنمر والضحية، حيث يكون المتنمر أقوى بدنيًا أو أكبر سنًا.(السرحان، 2019، ص 22)
2. **التنمر اللفظي:** يتمثل في استخدام الكلمات الجارحة أو العبارات العدوانية التي تهدف إلى إيذاء مشاعر الآخرين أو التقليل من شأنهم. ومن مظاهره السبّ، والشتم، والتهديد، والسخرية، وإطلاق الألقاب الجارحة، ونشر الإشاعات الكاذبة، أو استخدام كلمات ذات دلالات عنصرية أو طائفية. ويُعدّ هذا النوع من التنمر أكثر خفاءً من التنمر الجسدي، إذ يعتمد على مهارة المتنمر في استخدام الألفاظ لإيذاء الآخرين.(شعبان، 2023، ص12)

3. **التنمر الاجتماعي أو العاطفي:** يُمارس هذا الشكل من التنمر بطريقة غير مباشرة، من خلال عزل الضحية أو إقصائها من الأنشطة الجماعية، ورفض صداقتها، أو نشر الشائعات عنها بهدف تشويه سمعتها وتقليل ثقتها بنفسها. كما يشمل التهديد، والإذلال، والمضايقة، والتخويف، مما يؤدي إلى مشاعر الرفض والانطواء لدى المتعرضين له.(عبد الرحيم، 2020، ص35)

4. **التنمر على الممتلكات:** ويتمثل في الاعتداء على ممتلكات الآخرين، كأخذ أغراضهم أو إتلافها أو عدم إرجاعها لهم عن قصد. ويُستخدم هذا النوع لإظهار السيطرة وإذلال الضحية ماديًا ومعنويًا.

5. **التنمر الجنسي:** وهو من أخطر أشكال التنمر، ويتضمن استخدام ألفاظ أو إشارات أو ممارسات ذات طابع جنسي بهدف الإهانة أو الإيذاء، مثل اللمس غير اللائق، أو إطلاق كلمات نابية أو إيحاءات تخدش الحياء، أو التهديد بالسلوكيات الجنسية.(سليمان، 2021، ص9)

وبذلك، يتضح أن التنمر المدرسي ليس سلوكًا واحدًا بل مجموعة من الأفعال العدوانية المتنوعة، تتراوح بين الجسدي واللفظي والاجتماعي والنفسي، وكلها تؤدي إلى آثار سلبية على نفسية الطالب المتنمر عليه وسلوكه داخل البيئة المدرسية وخارجها.

المحور الثاني/ التوافق النفسي و الاجتماعي للتلاميذ

أولاً/ مفهوم التوافق النفسي والاجتماعي

يُعدّ التوافق من المفاهيم الأساسية في علم النفس، إذ يشير إلى قدرة الفرد على تحقيق الانسجام بين ذاته وبيئته، بما يضمن له إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية بطريقة سليمة ومتوازنة. فالتوافق النفسي يعكس قدرة الفرد على التكيف الداخلي مع ذاته، والتوفيق بين دوافعه المختلفة دون صراع داخلي، في حين يتمثل التوافق

الاجتماعي في قدرته على التفاعل الإيجابي مع الآخرين، وبناء علاقات اجتماعية ناجحة قائمة على احترام القيم والمعايير السائدة في المجتمع.(مغرقوني، 2024، ص9)

فالتوافق النفسي والاجتماعي هو قدرة الفرد على مواجهة المواقف الجديدة والمشكلات الحياتية بطريقة مرنة ومتزنة، من خلال تعديل سلوكه واتجاهاته بما يتناسب مع متطلبات الواقع، وبما يحقق له الشعور بالرضا الذاتي والانسجام مع الوسط المحيط به.(القطيطي، 2021، 247)

وعلى ذلك يُعرف التوافق النفسي الاجتماعي بأنه " حالة من التوازن الإيجابي بين الفرد وبيئته، حيث يتمكن الإنسان من التفاعل مع واقعه بمرونة ووعي، فيتقبل ما لا يمكن تغييره، ويسعى في الوقت ذاته إلى تطوير الجوانب القابلة للتحسين والتغيير. وهو بذلك لا يعني الاستسلام للواقع، بل يمثل عملية مستمرة من التكيف الواعي تجمع بين الرضا بما هو قائم، والسعي نحو التقدم والتجديد، وتحقيق الانسجام بين الاستقرار النفسي الداخلي ومتطلبات الحياة الاجتماعية المتغيرة، بحيث يوازن بين ما هو مألوف وثابت من العادات والقيم، وما هو جديد ومتجدد من الأفكار والسلوكيات. ومن ثم، فإن التوافق النفسي الاجتماعي هو تفاعل دينامي بين الرضا والسعي نحو الأفضل، يجسد وعي الفرد بذاته وبمجتمعه، ويعبر عن نضجه في التعامل مع تحديات الواقع ومتغيراته".(الصاوي، 2020، ص12)

ثانياً/ النظريات المفسِّرة للتوافق النفسي والاجتماعي

يُعَدّ التوافق النفسي والاجتماعي من المفاهيم المعقدة التي حاولت مدارس علم النفس المختلفة تفسيرها كلٌّ من زاويته الخاصة، إذ يجمع هذا المفهوم بين الجوانب النفسية والاجتماعية في سلوك الفرد وقدرته على التكيف مع ذاته ومع الآخرين. وفيما يلي أبرز النظريات التي تناولت تفسير هذا المفهوم:

1. **نظرية التحليل النفسي:** يرى مؤسس التحليل النفسي فرويد أن التوافق النفسي والاجتماعي عملية لا شعورية تنشأ نتيجة الصراع بين مكونات الشخصية الثلاثة: الهو، الأنا، والأنا الأعلى. فالفرد يسعى باستمرار إلى إشباع رغباته بطريقة تتفق مع المعايير الاجتماعية والأخلاقية، ويُعدّ سوء التوافق نتيجةً لعدم قدرة "الأنا" على تحقيق التوازن بين رغبات "الهو" ومتطلبات "الأنا الأعلى". وتشير النظرية إلى أن الاضطرابات النفسية والسلوكية ما هي إلا مظاهر لفشل الفرد في التوافق مع بيئته. كما أشار إريكسون إلى أن التوافق يرتبط بمراحل النمو النفسي الاجتماعي، إذ يواجه الفرد أزمات في كل مرحلة من مراحل حياته، ويعدّ النجاح في تجاوزها مؤشراً على التوافق النفسي والاجتماعي. أما أدلر فقد ركّز على الدور الاجتماعي للتنشئة الأسرية، مبينًا أن الأفراد الذين نشؤوا في بيئات داعمة ينمون اهتمامًا اجتماعيًا قويًا يسهم في توافقهم، بينما تؤدي التنشئة القائمة على الإهمال أو السيطرة إلى سلوكيات مضطربة وسوء توافق مع البيئة.(القطيطي، 2021، ص251)
2. **النظرية السلوكية:** يفسر واطسون وسكينر التوافق النفسي والاجتماعي على أنه سلوك مكتسب ينتج عن التعلم والخبرة. فالفرد يكتسب أنماط السلوك التوافقي من خلال عمليات التعزيز والمكافأة التي يتلقاها من بيئته. ويُنظر إلى التوافق على أنه مجموعة من العادات السلوكية المتعلمة التي تساعد الفرد على خفض التوتر والتعامل بفعالية مع الآخرين. أما سوء التوافق فينشأ من أنماط تعلم خاطئة أو خبرات سلبية متكررة تؤدي إلى استجابات غير ملائمة للمواقف الاجتماعية. وبالتالي، يمكن تعديل سوء التوافق من خلال إعادة التعلم والتدريب السلوكي الذي يُكسب الفرد مهارات جديدة للتفاعل الإيجابي مع بيئته.(مغرقوني، 2024، 11)

3. **نظرية علم النفس الإنساني:** يركز الاتجاه الإنساني، كما قدمه كارل روجرز وأبراهام ماسلو، على قدرة الإنسان الفطرية على النمو وتحقيق الذات في إطار من الحرية والإبداع. يرى روجرز أن التوافق النفسي والاجتماعي يتحقق عندما يكون هناك انسجام بين مفهوم الفرد عن ذاته وخبراته الواقعية، أما إذا تعارض الاثنان، فإن الفرد يشعر بالقلق وسوء التوافق. ويشير ماسلو إلى أن الأفراد المتوافقين نفسيًا واجتماعيًا يتميزون بعدة سمات، منها إدراك واقعي وفعّال للبيئة، تقبل الذات والآخرين، العفوية في المشاعر والدوافع، التركيز على المشكلات بدلاً من الذات، الشعور بالانتماء الإنساني، والقدرة على إقامة علاقات عميقة قائمة على المحبة والتفاهم. وبهذا، تؤكد النظرية الإنسانية على أن التوافق هو عملية نمو مستمرة نحو تحقيق الذات والتفاعل الإيجابي مع المجتمع.(القطيطي،2021، ص256)

المحور الثالث/ التنمر المدرسي وأثره على التوافق النفسي و الاجتماعي

أولاً/ آثار التنمر المدرسي على التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ

يُعدّ التنمر المدرسي من الظواهر الخطيرة التي تترك آثارًا عميقة على نفسية وسلوك التلاميذ، سواء كانوا ضحايا أو حتى من يمارسون التنمر أو يشاهدونه. إذ يؤدي التعرض المستمر للتنمر إلى اضطرابات نفسية واجتماعية خطيرة تتمثل في القلق، والخوف، والاكتئاب، وانخفاض تقدير الذات، وفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين. كما يعاني الضحايا من الشعور بالعجز والدونية والعزلة عن زملائهم، مما يضعف قدرتهم على تكوين صداقات سليمة، ويؤثر سلبًا على تفاعلهم الاجتماعي داخل البيئة المدرسية وخارجها، وغالبًا ما تنعكس هذه المعاناة في سلوكيات سلبية كالتغيب المتكرر عن المدرسة، والتراجع الأكاديمي، والانسحاب من الأنشطة، والشعور بالإحباط واليأس(عبد الرحيم، 2020، ص37). وقد تتطور الحالة لدى بعض الضحايا إلى التفكير في الانتحار أو محاولة الإيذاء الذاتي، نتيجة الضغط النفسي الشديد والشعور المستمر بعدم

الأمان. كما يمكن أن تظهر اضطرابات أخرى مثل فقدان الشهية، أو اضطرابات النوم، أو الميل إلى العدوانية كرد فعل على ما يتعرضون له من إيذاء.(السرحان، 2019، ص20)

أما على المستوى الاجتماعي، فإن التنمر يؤدي إلى ضعف العلاقات بين الأقران، وانخفاض روح التعاون والانتماء، وشيوع ثقافة الرفض والإقصاء داخل المجتمع المدرسي. فالضحية غالبًا ما يشعر بالعزلة وفقدان الدعم الاجتماعي، بينما يعاني المتنمر نفسه من مشكلات في احترام الذات وعدم القدرة على ضبط انفعالاته، مما يعزز سلوكياته العدوانية ويزيد من شعوره بالنقص(محمد، 2022، ص128))، وتؤكد الدراسات أن استمرار التنمر دون تدخل فعال من المدرسة أو الأسرة قد يؤدي إلى نتائج مدمرة على المدى الطويل، من أبرزها اضطرابات الشخصية، وصعوبة التكيف مع متطلبات الحياة المستقبلية، وفقدان الإحساس بالانتماء الاجتماعي. لذا فإن مواجهة التنمر لا تمثل فقط مسؤولية تربوية، بل هي ضرورة نفسية واجتماعية لضمان سلامة التلاميذ النفسية وتحقيق توافقهم الاجتماعي.(أحمد، 2020، ص443)

ثانياً/ دور الأخصائي الاجتماعي في مواجهة ظاهرة التنمر المدرسي

يُعدّ الأخصائي الاجتماعي أحد أهم العناصر الداعمة في البيئة المدرسية، لما يقوم به من أدوار وقائية وعلاجية تستهدف تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للطلاب، وفي ظل تنامي ظاهرة التنمر المدرسي التي تمثل تهديدًا مباشرًا للتماسك الاجتماعي داخل المدرسة، يبرز دور الأخصائي الاجتماعي بوصفه حلقة الوصل بين الطالب والإدارة وأولياء الأمور، من أجل الكشف المبكر عن السلوكيات العدوانية، ومعالجة آثارها، ونشر ثقافة التسامح والتعاون بين الطلاب. كما يسهم الأخصائي في تعزيز الانضباط المدرسي، وإيجاد بيئة تعليمية آمنة تساعد على الحدّ من السلوكيات السلبية، وبناء علاقات قائمة على الاحترام والتقدير المتبادل.(Lia, 2024, p3)

ويقوم الاخصائي الاجتماعي باستخدام الأنشطة والبرامج الجماعية التي تُسهم في تعزيز ثقافة الطلبة حول الآثار السلبية المترتبة على سلوك التنمر، سواء بالنسبة للضحايا أو المتنمرين أنفسهم، إضافة إلى إتاحة الفرصة لهم لممارسة أدوار إيجابية داخل الجماعة المدرسية، مما يحقق نموهم الاجتماعي والانفعالي. كما يساعد الأخصائي الطلاب على استثمار أوقات فراغهم في أنشطة بنّاءة تُنمّي روح التعاون والانتماء، وتقلل من فرص السلوك العدواني، كذلك يعمل الأخصائي الاجتماعي على ترسيخ قيم احترام الفروق الفردية وقبول الآخرين على اختلاف معتقداتهم وجنسهم، مما يُسهم في بناء بيئة مدرسية آمنة تقوم على التفاعل الإيجابي، والتقليل من مظاهر الإقصاء أو العنف اللفظي والجسدي بين الطلبة.(السيد، 2022، ص195)

ويقوم الأخصائي الاجتماعي بالعديد من المهام التي تهدف إلى مواجهة التنمر داخل البيئة المدرسية، ومن أبرزها:

- **رفع وعي الطلاب بحقوقهم وواجباتهم** والعمل على حماية كل طالب من أي شكل من أشكال الإساءة أو الاعتداء.
- **تلقي الشكاوى والمشكلات السلوكية والنفسية** من الطلاب المتضررين، ومتابعتها بالتعاون مع إدارة المدرسة والجهات المختصة، وفق الإجراءات المحددة في القوانين واللوائح التربوية.(عبد الرحيم، 2020، ص 41)
- **المشاركة في لجان حماية الطفل** ووضع خطط للتدخل في حالات الإساءة أو السلوك العدواني، ومتابعة تنفيذها لضمان حماية الضحايا والحد من تكرار الحوادث.
- **الحفاظ على سرية المعلومات** المتعلقة بالطلاب وضمان عدم تعرضهم لأي شكل من أشكال الوصم أو التمييز.(أحمد، 2020، ص467)

- **التنسيق مع إدارات المدرسة والمعلمين وأولياء الأمور** لتعزيز ثقافة الاحترام والتفاهم بين الطلبة، والعمل الجماعي للوقاية من التنمر.
- **إعداد برامج توعوية وتثقيفية** تهدف إلى تعريف الطلاب بمخاطر التنمر وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع، وتشجيعهم على تبني سلوكيات إيجابية قائمة على التعاون والمساعدة المتبادلة.
- **إشراك الطلاب في الأنشطة المدرسية المختلفة** التي تنمي روح العمل الجماعي والانتماء للمدرسة، بما يعزز التوافق النفسي والاجتماعي لديهم.
- **دعم الطلاب المتنمرين والمتنمر عليهم نفسيًا واجتماعيًا**، من خلال جلسات إرشادية فردية أو جماعية تساعدهم على تعديل السلوك واكتساب مهارات ضبط الانفعالات والتواصل الإيجابي.(محمد، 2022، ص131)

الخاتمة:

يُعدّ التنمر المدرسي من أكثر الظواهر السلوكية خطورة على استقرار البيئة التعليمية وصحة التلاميذ النفسية والاجتماعية، لما يخلّفه من آثار عميقة على شخصية الضحية، تتمثل في انخفاض الثقة بالنفس، والعزلة الاجتماعية، واضطرابات القلق والاكتئاب، فضلاً عن ضعف التحصيل الدراسي وانعدام الشعور بالأمان داخل المدرسة. كما يمتد أثر هذه الظاهرة إلى المتنمر نفسه الذي يعاني غالباً من اضطرابات انفعالية وسلوكية تعيق اندماجه الاجتماعي وتضعف قدرته على بناء علاقات إيجابية في المستقبل. وبالتالي فإن معالجة التنمر لا تتطلب فقط تدخلًا عقابيًا، بل منهجًا تربويًا شاملاً يعالج جذور المشكلة من منظور نفسي واجتماعي وتربوي متكامل.

من هذا المنطلق، يظهر دور الأخصائي الاجتماعي كعنصر محوري في بناء بيئة مدرسية آمنة تسودها المودة والتعاون. إذ يعمل على الكشف المبكر عن حالات التنمر، والتعامل معها بأساليب وقائية وعلاجية، إلى جانب تنظيم برامج إرشادية وتوعوية تهدف إلى نشر ثقافة التسامح واحترام الآخر. كما يسهم الأخصائي في تعزيز التوافق النفسي والاجتماعي للتلاميذ من خلال مساعدتهم على فهم ذواتهم والتعبير عن مشاعرهم بطرق إيجابية، وتنمية مهارات التواصل وحل النزاعات. وبذلك تتجلى أهمية دوره كركيزة أساسية في دعم الصحة النفسية المدرسية، وضمان استقرار المناخ التربوي وتحقيق أهداف العملية التعليمية.

النتائج

1. يمثل التنمر المدرسي ظاهرة متنامية تؤثر سلبًا في الصحة النفسية والاجتماعية للتلاميذ، وتؤدي إلى ضعف التوافق الذاتي والاجتماعي لديهم.
2. يتضح أن ضحايا التنمر يعانون من القلق والاكتئاب والعزلة الاجتماعية وضعف التحصيل الدراسي نتيجة الشعور المستمر بعدم الأمان داخل المدرسة.
3. أثبتت الدراسات أن المتنمرين أنفسهم غالبًا ما يعانون من اضطرابات سلوكية وانفعالية، ناتجة عن بيئات أسرية غير مستقرة أو افتقارهم للتنشئة السليمة.
4. للأخصائي الاجتماعي دور فعّال في الاكتشاف المبكر لحالات التنمر ومتابعتها، من خلال الملاحظة والمقابلات الفردية والجماعية مع التلاميذ.
5. التعاون بين الأخصائيين الاجتماعيين والمعلمين وأولياء الأمور يعدّ عنصرًا حاسمًا في تقليص معدلات التنمر وتهيئة بيئة مدرسية آمنة وداعمة.

التوصيات

1. ضرورة إدماج برامج توعية نفسية واجتماعية في المدارس تهدف إلى نشر ثقافة التسامح ونبذ العنف.
2. تفعيل دور الأخصائي الاجتماعي من خلال تدريبه المستمر على أساليب التدخل المهني الحديثة في مواجهة ظواهر العنف المدرسي.
3. تشجيع المدارس على إطلاق مبادرات طلابية إيجابية مثل فرق "أصدقاء الأخصائي الاجتماعي" لتعزيز التعاون والتكافل بين التلاميذ.
4. تضمين مناهج التربية الأخلاقية والاجتماعية موضوعات عن التنمر وأثره النفسي والاجتماعي على الأفراد والمجتمع.
5. إنشاء وحدات دعم نفسي واجتماعي داخل المدارس لمتابعة الحالات المتضررة من التنمر، وتقديم الاستشارات للأسر والتلاميذ بصورة منتظمة.

المراجع

أولاً/ المراجع العربية

1. أحمد، منى سيد محمد، (2020)، " دراسة العوامل المؤدية للتنمر ودور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في التعامل معها"، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية و العلوم الإنسانية، مج 2، ع 51.
2. البطاشية، أمل، السعيدية، فهيمة، والظفري، سعيد. (2023). نمذجة العلاقات بين الذكاء الاجتماعي والتنمر المدرسي والتوافق النفسي. مجلة جامعة النجاح للأبحاث – ب (العلوم الإنسانية)، المجلد 38، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
3. الدسوقي، مجدي. (2016). التنمر بين طلاب المدارس: دراسة ميدانية في علم الاجتماع التربوي. القاهرة: دار الفكر العربي.
4. السرحان، سيف فارس أرحيل، و المقدادي، يوسف موسى فرحان. (2019). دور مديري مدارس التربية والتعليم والثقافة العسكرية الأردنية في الحد من التنمر المدرسي [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة آل البيت، المفرق.
5. سليمان، شيرين سليمان رستم. (2021). انعكاسات مشكلة التنمر على جماعات النشاط المدرسي. المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية – دراسات وبحوث تطبيقية، (13)، مج1، صـ 294–306.
6. السيد، علي رزق. (2022). طريقة خدمة الجماعة ومواجهة مشكلة التنمر المدرسي. مجلة بحوث في الخدمة الاجتماعية التنموية، 2(1)، 193–212.
7. شعبان، عرين محمد عبد الرحمن، والعلوان، أحمد فلاح. (2023). التنمر المدرسي وعلاقته بأنماط المعاملة الوالدية والمناخ المدرسي لدى طلبة المرحلة الثانوية (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الهاشمية، الأردن.

8. عبدالرحيم، أميمة شرفاوي. (2020). مشكلة التنمر المدرسي: رؤية تحليلية من منظور الخدمة الاجتماعية. المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية – دراسات وبحوث تطبيقية، 11(2)، 28–49.
9. علي، عبد العاطي فرج، (2024)دور الأخصائي الاجتماعي في معالجة المشكلات الشخصية: دراسة وصفية ميدانية على عينة من الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس التعليم الأساسي العام بمدينة البيضاء . *مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية*، مج(9)، ع(1).
10. عمارة، محمد. (2017). التنمر المدرسي وأثره على السلوك الاجتماعي للتلاميذ. مجلة دراسات الطفولة، 23(4)، 521–534.
11. القطيطي، عبدالعزيز سعيد محمد. (2021). مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لطلبة الصف الثاني عشر بمحافظة شمال الباطنة في ظل جائحة كورونا. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، 45(4)، 241.
12. المحجان، أنوار ناصر ، (2021). أسباب التنمر المدرسي من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين في مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت. المجلة التربوية والنفسية، 5(19)، 1–25.
13. محمد، أميرة عبد الفتاح. ع. ع. (2022). الآثار الاجتماعية والنفسية للتنمر المدرسي. المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية – دراسات وبحوث تطبيقية، 19(2)، 116–140.

ثانياً/ المراجع الأجنبية:

1. Estévez, E., Murgui, S., & Musitu, G. (2009). Psychological adjustment in bullies and victims of school violence. European Journal of Psychology of Education, 24(4), 473–483. © I.S.P.A
2. Lai, Zhengtao & Ding, Lingyu (2024). The Role of School Social Work in Preventing Bullying in Schools—A Study Based on Cognitive-Behavioral Theory. Frontiers in Educational Research, 7(9), 132-137
3. Olweus, D. (1993). Bullying at school: What we know and what we can do. Oxford: Blackwell Publishing.
4. Tabet, S., Samah, H., Hakim, K., & Karam, M. (2019). School bullying among students: Patterns and impacts. Journal of Educational and Psychological Studies, 7(2), 110–125.